مفهوم العلم في القرآن الكريم لدى ناصر سبحاني

هذا البحث مستلّ من أطروحة دكتوراه بعنوان: (آراء ناصر سبحاني في مجال التّفسير)

آراس محمد صالح [1] و نعمان محمد الماس[1,2]

[1] كلية العلوم الاسلاميّة، جامعة السّليمانيّة، السّليمانيّة، اقليم كوردستان، العراق.

[2] قسم القانون، كلية القانون و السّياسة، جامعة التّنمية البشرية، السّليمانية، اقليم كوردستان، العراق.

المستخلص- تناول هذا البحث جهداً لأحد أعلام الكورد في التفسير، وهو ناصر سبحاني، حيث اشتهر بجهوده في التفسير والدّراسات القرآنية، وقد اهتمّ بدراسة المصطلحات القرآنية اهتماماً خاصّاً، ورسم لذلك نهجاً سار عليه. وممّا وقف عليه في عدّة أماكن من آثاره، مفهوم العلم في القرآن. لذلك عمد البحث إلى دراسة ما ذهب إليه سبحاني، والكشف عن كيفيّة عمله، والإشارة إلى رأي العلماء في تفسير العلم، وتسليط الضّوء على جوانب القوّة والضّعف في دراسة سبحاني. وكان الهدف الوقوف على هذا النّوع من الدّراسات حول المصطلحات القرآنيّة، والإكثار من الاهتمام بها، والكشف عن المناهج المتّبعة فيها. وقد جاء البحث على خطة – ما عدا المقدمة والخاتمة- منظمة في فقرات؛ الأولى لبحث منهج سبحاني في دراسة المفردات القرآنيّة، والثّانية لتناول مادة العلم في القرآن الكريم كما قام به سبحاني، ومقارنته بأقوال بعض المفسّرين والثّالثة لتقويم عمل سبحاني في استخراج مفهوم العلم. ثمّ جاء البحث في الخاتمة بنتائج أهمّها: اعتماد سبحاني في استخراج معاني المصطلحات القرآنية على التفسير الموضوعي بالتركيز على اللغة والسّياق، وتفسير العلم بالإدراك الذي يحدث تغييراً داخلياً في كيان الانسان ويولّد لديه الشّعور بالمسؤولية تجاه ربّه، واقتصار سبحاني على بعض الآيات في تحليلاته لمادة العلم وعدم إشارته إلى معاني العلم في السّنة النبوية.

الكلمات الدالة- سبحاني، التفسير، المفردات القرآنية، العلم، العالم.

1. المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن ليكون سراجاً ونوراً، يُهدى به في الظلمات ليكون طريق من اتّبعه مستقيماً منيراً، والصّلاة والسّلام على من جعله الله مَنزَل هدايته، ومُبلّغ رسالته وحامل نوره، النّبي الأكرم محمد بن عبدالله، وعلى من تبعه من الصّحابة والتّابعين، وعلى كلّ مَنْ سلك نهجهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدّين.

فالاهتمام بالقرآن الكريم وتفسيره من أهمّ مظاهر الاهتمام بالاسلام، وقد بدأ ذلك منذ العصر الأوّل لبزوغ شمس هذا الدّين، وقد شارك في خدمة القرآن الكريم ملل وأقوام شتّى نتج عنها تراثاً ضخماً في العلوم والفنون المتصلة بالقرآن الكريم. وقد شارك الكورد في تكوين هذا التراث الضّخم مشاركة فعّالة، ولم يتوقف عن العطاء حتّى الآن، حيث ازداد اهتمام الشّعب الكوردي بتفسير القرآن والدّراسات حوله في الزّمن المعاصر، وقام علماء من مناطق شتى من كوردستان بهذا العمل المبارك، ومنهم ناصر سبحاني، الّذي لم يكتف بتفسير القرآن بنمط واحد، بل إلى جانب تفسيره لسور القرآن الكريم، عمل على تفسير المفردات القرآنيّة، الذي هو جزء ممّا يسمّى اليوم بالتفسير الموضوعي. وقد خصّص هذا البحث لعرض ومناقشة تفسيره حول مفردة العلم في القرآن الكريم.

1.1. أهمية البحث:

اشتهر سبحاني بدراساته القرآنيّة المعمّقة، أظهر فيها آراءً جديدة، أو آراءً قديمة مرجوحة أحياها، دافع عنها بأدلّته بقوّة، عمل ذلك بناءً على منهج واضح سار عليه والتزم به في جميع اعماله، وهو مع ذلك لم يُعرف حق قدره، ولم تُدرَس آراءه كما ينبغي، بالرّغم من أنّه خلّف آثاراً عديدة في التّفسير، وذلك بعد أكثر من ثلاثة عقود على وفاته.

وما يخصّ دراسة المفردات القرآنية، ومفهوم (العلم) على وجه الخصوص، فأنّ أهميّتها تكمن في تصحيح المفاهيم الّتي يتعامل معها الشّخص المسلم دوماً، والّتي ربّما غفل عن معانيها الأصيلة الكثير من المسلمين، وذلك بسبب طغيان المعنى العلمي التجريبي والمعنى العقلاني الفلسفي على ما يخصّ مفهوم (العلم)، الّذي هو من المفردات و المصطلحات الأكثر أهميّة في القرآن الكريم.

2.1. مشكلة البحث:

هناك مشكلة في فهم المصطلحات القرآنيّة و خاصّة في العصر الحديث، حيث ألقت مستجدّات العصر بظلالها على عقول الدّارسين لمفردات القرآن الكريم من جانب، كما نرى في مصطلح (العلم). وتمّ نسيان معالم المعاني الأصيلة والقرآنية في التراث الإسلامي من جانب آخر. وجاء دور الإحيائيين الاصلاحيين - أمثال المودودي و سبحاني - ليجدوا فرعاً من مشروعهم النهضوي للأمّة نفض الغبار عن المعاني الأصيلة لمصطلحات القرآن الكريم، والتحاشي عن اختراق الثقافة العصرية لتلك المعاني الرّبانيّة المبيّنة في القرآن في عقول المسلمين. فتأتي الأسئلة المفترضة في البحث حول مدى إمكانيّة استحصال هذا العمل من النّاحية المنهجيّة وكيف يمكن تجاوز المعاني العصرية الدّارجة من جانب، و نفض غبار التّراث عن تلك المصطلحات من جانب آخر ؟ وما هي الآليات

مجلة جامعة التنمية البشرية

المجلد 8، العدد 3(2022) ؛ عدد الصفحات (7)؛ معرف الكائن الرقمي: 10.21928/juhd.v8n3y2022.pp83-89

ورقة بحث منتظمة: أُستلم البحث في 25 أيار2022؛ قُبل في 22 حزيران 2022؛ نُشرت في 31 تموز 2022؛

البريد الإلكتروني للمؤلف :nueman.almas@uhd.edu.iq, araz.salih@univsul.edu.iq

حقوق الطبع والنشر ©2022 آراس محمد صالح و نعمان محمد الماس. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية - CC BY-NC-ND 4.0

المناسبة لعمل صعب كهذا؟ هل يمكن الاكتفاء بالدّراسة الموضوعيّة داخل القرآن الكريم نفسه، أم يحتاج إلى معارف و علوم آخرى، كالبحث المعجمي عن أصل الكلمات في العصرين الجاهلي والإسلامي، وهل يكون الظّفر بهذه المعاني ممكناً أم لا؟

3.1. المنهج المتبع في البحث:

يتطلب البحث دراسة آثار سبحاني المتعلقة بالموضوع، وبذلك يُعتمد الاستقراء بهدف الاستيعاب حتّى تتبيّن طريقته ومنهجه في استخراج المعاني للمفردات القرآنية، ثمّ القيام بالمقارنة بين رأيه و آراء بعض المفسّرين، والعمل على تحليل خطوات سبحاني وأفكاره الأساسيّة وبيان أماكن القوّة والضّعف فيها، وبذلك يكون المنهج المتبع يتمثل في الاستقراء و المقارنة والتحليل.

4.1. الدّراسات السّابقة:

لم أقف على دراسات خاصّة بمفهوم العلم في القرآن لدى ناصر سبحاني، لذلك خصصت هذا البحث لدراسة هذا الموضوع.

5.1. خطّة البحث:

يتألّف هذا البحث من مقدمة وخاتمة وثلاثة مطالب: المطلب الأول يتناول منهج سبحاني في دراسة المفردات القرآنية باختصار، والمطلب الثاني يفصّل القول في مفهوم العلم كما درسه سبحاني والإشارة إلى رأي بعض المفسّرين في ذلك، ويتطرق الباحث في المطلب الثّالث إلى تقويم دراسة سبحاني والانتقادات التّي يمكن توجيهها إليه، ويتم تخصيص الخاتمة للنتائج التي توصل إليها من خلال البحث.

2. المطلب الأوّل:
منهج سبحاني في دراسة المفردات القرآنيّة

رسم سبحاني لدراسة المفردات والمصطلحات القرآنية منهجاً عمل عليه والتزم به وأكّد عليه في آثاره، ولاتمام الفائدة سيتمّ التطرّق إلى ذلك باختصار في فرعين:

1.2. الفرع الأوّل: ألوان التفسير الموضوعي عند سبحاني:

كان لسبحاني ولع واهتمام بتبيين المفاهيم وتصحيحها، وخاصّة مفاهيم المصطلحات القرآنيّة، وهذا يندرج تحت لون من ألوان التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، إلى جانب تفسير الموضوعات في القرآن وتفسير السّورة كوحدة مستقلّة باتباع محورها الآساسي (مسلم،2000م). ولا يزال كلّ نوع من هذه الأنواع الثلاثة للتفسير الموضوعي يُعتمد مستقلّاً عن الآخر، وذكر البعض (الحاج ابرهيم، 2003م) أنّه من الصّعب العثور على عمل تفسيري يجمع الأنواع الثلاثة مجتمعةً، بينما الحاجة قائمة لإنشاء منهج يمزج الأنواع الثلاثة ويؤسّس للعلاقة بينها وطريقة عملها والأدوات العلمية اللازمة لكلّ منها.

ولكنّ سبحاني، جمع في أعماله التفسيرية الأنواع الثلاثة، حيث أقدم على تفسير السّور سورة سورة، كتفسيره لسورتي يونس والفرقان المطبوعتين بالكوردية، وتعرّض لتفسير موضوعات عديدة في القرآن من أبرزها (خلق آدم) و (حكمة الحجّ والعمرة) بالكورديّة أيضاً، كما اهتمّ بدراسة المفردات القرآنية وتفسيرها مثل ما نراه يوضّح كلمة الشّاهد والشّهيد، وكذلك دراسته لمفهوم العلم والعالم والعلماء في القرآن.

2.2. الفرع الثاني: منهج سبحاني في دراسة المصطلحات القرآنية:

أكّد سبحاني أنّه لمعرفة معاني المصطلحات القرآنية يجب الرّجوع إلى القرآن نفسه، وأخذ المعنى منه، لأنّ القرآن بيّن مصطلحاته بنفسه، وقد يكون البيان في السورة الّتي ذكر فيها المصطلح بشكل بارز و باهتمام (سبحاني، 2011، الدّعوة ومراحلها، ص202-203).

ينطلق سبحاني في تبيين معاني المصطلحات القرآنية من أسس يذكرها مكرّراً في عدّة مواضع، وهي:

1- أنّ القرآن استخدم الكلمات والمفردات العربيّة لأداء مفاهيمه الرّبانيّة، مع الاحتفاظ بمعانيها اللّغوية في أصل وضعها، ولم يقطع الكلمات عن معانيها الأصليّة و لم يجعلها غريبة عنها، لكنّه أضاف إليها معاني إلهية أو شيئاً من التصحيح أو التوسيع أو كيفيّة جديدة في معجمه القرآني.(سبحاني، بلا، دروس الصلاة، الشريط1).

2- بناء عليه؛ لتبيين المصطلحات القرآنية، يجب الرّجوع أولاً إلى مراجع اللّغة المعتمدة، لكشف معانيها اللغوية الأصلية.

3- ثمّ القيام بمقارنة المعنى اللّغوي لتلك المصطلحات، باستعمالاتها المختلفة في القرآن، والنظر بدقّة في أماكن ورودها وملاحظتها في سياق الآيات التي جاء فيها، لأنّها حصلت لها معاني جديدة ملائمة لمعانيها الأصلية.

4- ويمكن التفطّن إلى حقيقة هذه المعاني وحكمتها من خلال الوضع اللّغوي والعبارات الّتي جاءت بها والخصوصية الّتي أُضيفت إليها في سياق القرآن، ولا ينبغي للمرء أن يقوم بالتكهنات والتخيلات لدرك حقيقة هذه المعاني القرآنية وحكمتها، كالصلاة والصّوم و غيرهما (سبحاني، 2017م ، العلم العالم العلماء).

لا تُخفى دقة هذا المنهج وخطواته التطبيقيّة في دراسة المفردات القرآنيّة، ولكن هناك مشكلة في اختيار المصطلحات ذات الأهميّة الكبرى بالنسبة للبعض الآخر من المصطلحات، وبالرّغم من توجّه سبحاني إلى أصول المسائل و أسسها في أكثر أعماله، لكنّه لا يشير إلى آلية أو عمليّة لكشف المصطلحات و المفردات الأكثر أهميّة في القرآن الكريم.

من جانب آخر، أشار سبحاني إلى انحدار حصل بعد عصر الرّسالة، اذ يقول بأنّه تمّ تثبيت المعاني الإلهية والتحوّل الدّلالي من المعاني الجاهليّة إلى المعاني الإسلاميّة بنزول القرآن، فالجيل الأوّل قد عرفوا المصطلحات القرآنية في إعطائها واقتضائها، فأخذوا وأعطوا وأصبحوا كما أراد الله. لكنّه وبمرور الأيام وذهابها، ذهبت معها المفاهيم التي كان يجب أن تبقى دائما ظلالاً يرمى من ورائها إلى كلّ ما تظلّه من مصاديق، تختلف هي من زمان لزمان، وتبقى منها الحقائق لتنتظم بتضمّنها في سلك المصاديق جزئيات أخر.. وذهبت المفاهيم، وتضيّقت نطاق الدّلالات لتقتصر على بعض مصاديق، حُسبت ـ خطأ ـ هي المفاهيم، فتبدّلت الرؤى وتغيّرت الموازين، وظهرت أجيال لا تحرّك منهم آلاف الآيات، ما كانت تحرّكه من السّابقين كلمة واحدة. (سبحاني، ناصر، الشهادة الشاهد الشهيد، 1985). ولذلك صرّح سبحاني بأنّ كثيراً من المصطلحات القرآنية باتت مظلومة، و فقدت معانيها القرآنية، ويرى أنّ القيام بتصحيح معاني تلك المصطلحات، أصبح واجباً على الشّخص المسلم كلّ في حدّ وسعه وطاقته (سبحاني، 2017م، العلم العالم العلماء، ص13).

3. المطلب الثاني: مفهوم العلم في القرآن

مفهوم العلم في القرآن، كما ذهب إليه سبحاني، يتلخّص في التصوّر الصحيح لله و للإنسان والكون و الحياة، والالتزام العملي بمقتضى ذاك التّصوّر، والمقصود من التّصوّر الصّحيح هو ما يؤخذ من القرآن الكريم، فمن يمتلك هذا التّصوّر، يسمّى عالماً، والعلماء هم جمع من مالكي هذا التّصور والملتزمين بمقتضاه.

يقول: العلم في القرآن عبارة عن امتلاك تصور قرآني و معرفة مجموعة من القيم الرّبّانية، هذا النّوع من التّصور و المعرفة التي يسلّم بها الإنسان كاملاً و يعمل و يتحرك بمقتضاها، هذا هو العلم. بقولٍ مختصر: هو التّصور أو المعرفة الّتي تؤخذ من الهداية الالهيّة. والعالم هو الشّخص الّذي يمتلك هذا التصور متأثراً به وعاملاً بمقتضاه، والعلماء هم هذه المجموعة المكوّنة من هذا النّوع من الأفراد، بعبارة أخرى: العلم هو ما يملكه الشّخص المؤمن الحقيقي. والعلماء هم جمع المؤمنين الحقيقيّين. (سبحاني، 2017م ، العلم العالم العلماء، ص37-38).

1.3. الفرع الأوّل: معنى العلم في اللّغة:

العلم في أصله اللّغوي يعني معرفة الشيء أو إدراكه؛ حينما يغفل المرء عن شيء أو يجهل شيئاً، ثمّ يتبيّن له ويُكشف، أمّا كيفيّته فليس مهمّاً، لأنّ المعنى واضح. (سبحاني، 2017م، العلم العالم العلماء، ص18). والعلم كما أورده اللغويّون؛ نقيض الجهل (الفراهيدي، العين، بلا، ج2، ص152)، وإدراك الشيء بحقيقته والشّعور به (الزاغب الأصفهاني، 2009، ص580)، وهو يدلّ على أثر بالشيء يتميز به عن غيره (ابن فارس، 1979، ج4، ص109).

وقد استُخدم العلم في القرآن بهذا المعنى المحدود اللّغوي في أماكن عديدة؛ منها قوله سبحانه وتعالى: [يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفّارِ...] {الممتحنة: 10} وقوله تعالى في مسألة الأدعياء عندما أمر سبحانه و تعالى مناداتهم بأسماء آبائهم، ثمّ يقول سبحانه وتعالى: [فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ] {الأحزاب: 5} إذن ترى أنّه في بعض الأحيان استُعملت مادة (ع ل م) في معناها اللّغوي المحدود في القرآن. أمّا عندما يتعلّق الأمر بمجال الهداية و الضّلال، ويأتي الوقت لتقرير المعاني الرّبانيّة، فلم يبق المعنى بتلك الصّورة اللّغوية المحدودة ((سبحاني، 2017م، العلم العالم العلماء، ص18-19). واستخدم لفظة العلم خارج القرآن ليطلق على كلّ فن من الفنون المتداولة، سواءً ما يتعلّق بالدنيا أو بالآخرة. يقولون مثلاً: علم التفسير وعلم الفقه وعلم النّحو، كما يقال: علم الفيزياء وعلم الكيمياء وهكذا (سبحاني، 2020م، مقدّمة في العلوم والفنون، ص203).

2.3. الفرع الثاني: المعنى القرآني لمادة العلم

بناءً على الأسس الّتي سبقت الإشارة إليها؛ ينطلق سبحاني في تقرير معنى العلم بصبغته القرآنية، يبحث عن أماكن استخدام هذه اللفظة وخاصّة عندما يتعلّق الأمر بمجال الهداية والضّلال.

كان يستهلّ بحوثه في هذا المجال ببيان المراد من: الذي يعلم والّذي لا يعلم، بادئاً بتفسير الآيتين الثامنة و التاسعة من سورة الزّمر: [وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8) أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ] {الزّمر: 8-9}

وخلاصة ما وصل إليه سبحاني هي أنّ هناك صنفان من النّاس بحسب الآية: صنف متزلزل في مواقفه تجاه الله سبحانه، ويكون تابعاً لتقلّبات الحياة مرتبطاً بالمصالح الدّنيوية الماديّة. فاذا أصابه ضرر ما، دعا ربّه والتجأ منيباً إليه، واذا حصل على النعم وزال عنه الضرر، نسي دعوته السّابقة لربّه وانابته إليه، و لا يقف عند هذا الحدّ، بل يجعل لله شركاء ليضلّ الناس عن سبيل الله. هذا هو النموذج لشخص متقلّب مع تقلّبات الحياة، ولكنّ الأصل فيه الشّرك، فلا ينفعه إنابته إلى الله في فترات، وقد بدرت منه نظراً إلى حالته المقتضية للإنابة إلى الله المبنيّة على المنفعة الماديّة، وإلاّ فهو مستقرّ على الشّرك وهو من أصحاب النّار (سبحاني، 2016، أسماء الله الحسنى، ص28-29).

والصّنف الآخر هو ما ذكرته الآية التّالية: شخصٌ قانتٌ مطيع لربّه في بعض ساعات من اللّيل، لأنّ الآناء: جمع الإنى، وأقلّ الجمع ثلاثة: إنى المغرب، أي صلاته، وإنى العشاء، صلاته، وإنى الغسَق حينما يقوم الانسان لصلاة اللّيل (سبحاني، 2020م، مقدّمة في العلوم والفنون، ص206). يفعل ذلك بشكل مستمرّ و برغبة منه دون إكراه، يفعل ذلك بالسّجود والقيام، سجوده دلالة لخضوعه، و قيامه دلالة همّته وعزمه على العبودية لله، سجوده تعبير عن كونه ساجداً في كلّ حياته، كما يقول بعض السّلف سجدة القلب هي سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة، - ذكره ابن تيميّة (ابن تيمية، 1995، ج21، ص287) نقلاً عن سهل التستري بلفظ آخر- قيامه تعبير عن قيامه في حياته في ميدان العبودية. مع ذلك يخاف من الآخرة ويحذر منها، كما أنّه يرجو من الله رحمته، و رجاء الرّحمة إنّما يكون بعد إعداد المقدّمات والأخذ بالأسباب، وهو مبيّن في قوله سبحانه وتعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] {البقرة: 218} (سبحاني، 2020م، مقدّمة في العلوم والفنون، ص207-209).

ثمّ تأتي الآية إلى المقارنة بين الصنفين المذكورين بإضافة العلم إلى أحدهما وسلبه عن الآخر: [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ] {الزمر: 9} إذن؛ الذين يعلمون: هم القانتون آناء الليل ساجداً وقائماً الذين يحذرون الآخرة ويرجون رحمة ربّهم، والّذين لا يعلمون هم المتزلزلون في مواقفهم الّذين اذا مسّهم الضّرّ يدعون ربهم منبين إليه، وإذا زال الضّرّ ينسون ذلك و يجعلون لله شركاء(سبحاني، 2016، أسماء الله الحسنى، ص29-30).

ذهب سبحاني إلى أنّ مفهوم العلم كما يؤخذ من هذه الآية يتلخّص في المعرفة أو التّصوّر الّذي يحصل عليه الانسان ويؤثّر عليه في دفعه باتجاه، أو إلى موقف باطني معيّن، بحيث يخضع لتصوراته الدينيّة ويعمل بمقتضاها. والعالم هو من كان مؤمناً عاملاً للصّالحات (سبحاني، 2016، أسماء الله الحسنى، ص31).

وعليه فمن كان غافلاً عن التّصوّرات الدينيّة، فهو غير عالم. ومن كان عالماً بها غير متأثر بها في نفسه ولا يعمل بمقتضاها؛ فإنّه عالم بالمعنى اللّغوي، وليس بالمعنى القرآني، فهو والجاهل سواء لا فرق بينهما (سبحاني، 2020م، مقدّمة في العلوم والفنون، ص211).

وفي تفسيره لآية: [شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً ...] {آل عمران: 18} يقرّر؛ أنّ أولوا العلم هم المؤمنون الّذين يشهدون أنّه لا إله إلاّ هو (سبحاني، تفسير سورة آل عمران، بلا سنة، ص12)، وهذه الآية مبيّنة لآية أخرى: [وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] {الزّخرف: 86} فالشّاهد بالحقّ هو الّذي يشهد بأنّه لا اله الاّ هو، وهو يعلم بما يشهد، يكون شهادته

على أساس البيّنة والعلم، فهو قد تبيّن له الحقّ قبلُ، وبعد ذلك يشهد بهذا الحقّ (سبحاني، 2020م، مقدّمة في العلوم والفنون، ص211).

يأخذ سبحاني تعريف العالم والعلماء من قوله سبحانه: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ]{فاطر: 27و28} وقبل تفسير هاتين الآيتين يرجع إلى الآيات الّتي سبقت، وقال إنّ السّورة في صدد بيان موقف النّاس من الدّعوة الإلهيّة، وتبيّنُ للدّاعي أنّ اعراضهم عن هذه الدّعوة ليس لنقص أو عيب في هداية الله، بل لأنّ النّاس متفاوتون في مواقفهم، وإنّما تنذر [الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ]{فاطر:18} ولذلك جاءت الآيات التالية تبيّن وجود الاختلاف في الكون والحياة: [وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ] {فاطر: 19} إلى قوله: [وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ] حيث يبيّن الله سبحانه وجود الاختلاف في الكون وأعقب ذلك بقوله: [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ] الّذين يقبلون بالدّعوة هم الذين يخشون ربّهم وهم العلماء (سبحاني، 2020م، مقدّمة في العلوم والفنون، ص214)، وغير العلماء لا يخشون ربّهم، وقد بيّن أوصافهم في الآية التّالية: [إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ] {فاطر: 29} اذن فالعلماء الحقيقيون هم الذين يخشون ربّهم، ويقيمون الصّلاة وينفقون ممّا رزقهم الله و يرجون تجارة لا تهلك أبداً(سبحاني، 2017م ، العلم العالم العلماء، ص48-55).

ذهب سبحاني إلى أنّه بضمّ هذه الآيات بعضها إلى بعض، يتضح أنّ الّذي ينفعه الانذار: هو المؤمن العالم الذي يتبع الذّكر ويخشي الرّحمن بالغيب، وهو الشّخص الذي يملك تصوّرات دينيّة قرآنية، ويلتزم بها. وبهذا يتبيّن خطأ الذين ذهبوا إلى أنّ ذكر العلماء بعد ذكر الجبال يدلّ على أنّ المراد بالعلماء: العلماء التجريبيّون؛ علماء الحيوان، والنّبات وغير ذلك (سبحاني، 2020م، مقدّمة في العلوم والفنون، ص218). وهو بهذا ينتقد صاحب المنار ومن حذا حذوه من المعاصرين، اذ فسّر الشيخ رشيد رضا (العالِمين) في آية [وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ] {الرّوم: 22} بعلماء الكون، و (العلماء) في آية: [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] بالذين يعلمون أسرار الكون وأسباب اختلاف أجناسه وأنواعه وألوانها وآيات الله وحكمه فيها (رضا، 1947م، ج11، ص248).

3.3. الفرع الثالث: الحدّ في مصطلح العلم

الحدّ في تبيين سبحاني لمصطلح العلم وصياغته في مفهوم واحد يتضمن معاني متعدّدة؛ أوّلاً: العلم هو التصّور أو المعرفة الّتي تؤخذ من القرآن الكريم حول الإنسان والله والكون، أو الهداية التّي جاء بها القرآن. ثانياً: لا يتوقف العلم عند حدّ المعرفة فقط، بل يؤثّر هذا العلم أو التّصوّر في نفس حامله ويحدث تغييراً داخلياً، ويوقظه من الباطن. ثالثاً: هذا التحوّل الدّاخلي النفسي، يدفعه لتعيين اتجاه واتخاذ عزم، ليعمل بمقتضاه ويتحرّك وفق متطلباته.

هذا المفهوم للعلم والعالم، هو ما أطلقه أهل التّزكية على المعرفة والعارف، وقد أطال ابن القيم القول في معنى العلم والمعرفة وصرّح بأنّ كلمة (العلم) أوسع من المعرفة إطلاقاً، ويقول: هذه الطائفة -أهل التزكية- ترجّح المعرفة على العلم جدّاً. ثمّ بيّن الفرق بين العلم والمعرفة عندهم دون تعليق منه، فذكر: أنّ المعرفة عندهم هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه (ابن القيم، 1996، ج3، ص312).

وقد انتقد سبحاني المسار التأريخي لتسميّة هذا العلم بالمعنى القرآني بالمعرفة و حامله بالعارف، وذلك بعد أن ظهرت - حسب قوله- العلوم أو الفنون المختلفة، كالتفسير والفقه والنّحو وغيرها، فسمّي أصحاب هذه الفنون بالعلماء، وبدلاً من العمل على استخدام المعنى القرآني للعلم في مكانه الحقيقي، قاموا باستخدام كلمة المعرفة مكانه، وتسمية أهل العلم بالمعنى القرآني بالعارف. (سبحاني، 2016، أسماء الله الحسنى، ص33-34)

لذلك استحسن تسميّة تلك العلوم بالفنون، كي لا يحرّف المعنى القرآني للعلم، وعلّل ذلك بأنّ من بين أصحاب تلك الفنون كثيرون ليسوا على شيء من العلم بالمعنى القرآني، كهؤلاء الذين يسميّهم الامام الغزالي علماء السّوء، -حيث يقول الغزالي: "ونعني بعلماء الدّنيا علماء السّوء الذين قصدهم من العلم التنعّم بالدّنيا والتوصّل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها" (الغزالي، إحياء علوم الدّين، 2011م، ج1، ص217) - وهناك كثير من متقني هذه الفنون قد أفسدوا طوال التأريخ، عاونوا السّلطات الظالمة، والتتار والصّليبيين. (سبحاني، 2020م، مقدّمة في العلوم والفنون، ص224) وقد أشار ابن تيميّة في ذلك، إلى (نصير الطّوسي) الّذي أيّد التتار وأعانهم على قتال المسلمين. (ابن تيمية، 1995م، ج28، ص636).

ما ذهب إليه سبحاني حول مفهوم العلم لا ينكر عمقه و جدّته، وعلى وجه الخصوص منهجه في استخراج المعنى والمفهوم من المصطلحات القرآنيّة، حيث لم يكتفِ بجمع الآيات المماثلة لتفسير بعضها ببعض، بل أهمّ ما في عمله هو إقلاعه عن المعاني المتعارفة، واستخراج المعنى للكلمة من خلال الآية والسّورة، وكذلك مع ما يرتبط بها من الكلمات الأخرى، كالحذر والخشية والقنوت والرّجاء وتأثيرها في مفهوم العلم و العلماء، وتمييزه بين المعنى القرآني الجديد، ومعناها الأصلي القديم. حيث جعل العلم قرين الإيمان، والعالم قرين المؤمن، ممّا يفهم منه أنّ العلم بمعناه القرآني ليس الإدراك الذّهني، بل إضافة عليه هو إرادة من القلب، لأنّه مصاحب لبعض أعمال القلب الأخرى ويفهم من خلالها، كالخشية والحذر والقنوت والرّجاء.

وهذا مدخل كبير لموضوع الإيمان، هل ينتمي إلى دائرة المعرفة أم إلى دائرة الإرادة؟ ذهب الفيلسوف الوجودي المؤمن (كيركيجارد) في رأي متطرّف إلى الاختيار الثّاني، ويعمل على اخراج الايمان من دائرة المعرفة. (بورمحمدي، 2012م، ص161- 200). وهذا يقترب إلى حدّ ما مع ذهب إليه سبحاني وبعض السّلف من كون العلم مرتبطاً بخشية الله، وأنّ الإيمان متعلّق بالعمل، وبما أنّه ملفوف بالإحساس الباطني، فأنّه في حركة دائمة بالزيادة والنقصان، كما نقل غير واحد: "أن الإيمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص". (ابن عبدالبر، 2000م، الاستذكار، ج8، ص283) وبما أنّ الموضوع لا يتعلّق بمفهوم العلم و التفسير مباشرة، فلا داعي للكلام المفصّل فيه.

4.3. الفرع الرابع: رأي المفسّرين في مفهوم العلم:

لم يذهب المفسّرون إلى تفسير موضوعي لمفردة العلم في القرآن، بل فسّروها عند ورودها في الآيات القرآنية، لكنّه يمكن التّطلع إلى نظرهم من خلال تفسير بعض الآيات الّتي وردت فيها كلمة العلم و العلماء، ويمكن الإشارة إلى مناظيرهم في التقاط الآتية:

أوّلاً: نظر بعض المفسّرين إلى الآية وسابقتها فأخذوا منها- بناءً على المناسبة والسّياق وأقوال بعض السّلف– معنى العلم والعالم، فاحتفظوا بالمعنى اللّغوي للعلم لكنّهم أشاروا إلى المعلوم و المُدرَك لا إلى نفس العلم والعالم. فقالوا في كلمة (العلماء) الواردة في قوله تعالى: [إنّما يخشى الله من عباده العلماء]{فاطر: 28} مفاده أنّهم: العلماء بقدرة الله على ما يشاء أو الّذين يعلمون أنّ الله على كلّ شيء قدير، فيخافون قدرته، وأنّ من علم بأنه قدير أيقن بعقابه على معصيته فخافه خشية منه أن يعاقبه، والمعاقِب و المُثيب حقه أن يُخشى. (الطبري، 2001م، ج19، ص364 و القرطبي، 2006م، ج17، ص375 و 377.)

وقالوا في عبارة: (الّذين يعلمون) في قوله تعالى: [هلْ يَستوي الّذينَ يعلمُون والّذينَ لا يعلمونَ] {الزّمر: 9} ما معناه: الّذين يعلمون ثواب الطّاعات وعقاب المعصيات، فهما لايستويان وهكذا، أو الذين يعلمون و ينتفعون بعلمهم ويعملون به. (الطبري، 1422هـ/2001م، ج20، ص177/ القرطبي، 1427هـ /2006م، ج18، ص256).)

لكنّ هذا الرّأي بالرّغم من أصالته وقوّته، يرد عليه عدم لزوم الخشية والعمل للعلم، إذ لا يلزم من وجود العلم بالشيء وادراكه القيام بمقتضاه، وقد أكّدت ذلك آيات عديدة، منها قوله سبحانه وتعالى: [ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]{البقرة:146}. و قوله سبحانه: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ] {الأعراف: 175}.

ثانياً: فسّر بعض آخر من المفسّرين الآيات السّابقة الذّكر، بما يفيد من كون العلم مؤدّياً للخشية والعمل، فقاموا بتفسير العلم متضمناً فيه الخشية والعمل بمقتضاه، فالخشية هي الفارق بين العلماء و الجهال، اذن فالمؤمنون هم العلماء، والمشركون هم الجاهلون. (ابن عاشور، 1984م ، ج22، ص305).

وقالوا في المراد بالذين يعلمون: هم العاملون من علماء الديانة، كأنّه جعل من لا يعمل غير عالم. وصرّحوا بأنّ هذا ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم، ثم لا يقتنون ويفتنون، ثم يفتنون بالدنيا، فهم عند الله جهلة، حيث جعل القانتين هم العلماء.(الزمخشري، 1427هـ/2006م، ج4، ص87)

ثالثاً: فسّر فريق آخر العلماء والذين يعلمون، بمعناه العام، وهو ما ذهب إليه بعض المعاصرين، كما سبقت الاشارة إليهم، فقالوا: إنّ المقصود من العلماء الوارد في الآية هم الذين يعلمون أسرار الكون. (رشيد رضا، 1947م، ج11، ص248). لأنّ الكلمة في الجملة مطلقة وهي في معرض التنبيه إلى مظاهر خلق الله، فيمكن أن تشمل كلّ من يتّصف بعلم يساعده على إدراك ذلك ودلالة على وجود الله وقدرته. ويدخل في ذلك طبقة العلماء في العلوم الدينية والدنيوية على السّواء. بل ويمكن أن يدخل فيه طبقة العقلاء والنبهاء والمستنيرين والواعين.(دروزة،١٤٢١هـ، ج3، ص122). وهذا الرّأي تمّ نقده من قبل سبحاني كونه لا يعبّر عن المعنى القرآني للعلم، بل يعبّر عن معنى خارجي حمل على أحد ألفاظ القرآن الكريم.

4. المطلب الثالث:
تقويم ونقد

بالرّغم من عمق الجهود التي بذلها سبحاني في تقرير معاني المصطلحات القرآنية، وخاصّة معنى العلم، لكنّه قد يرد عليه بعض الأمور، منها: عدم اكتمال عمله في تحليل مصطلح العلم وعدم ربطه بين العلم و الكلمات القريبة منه من حيث المعنى والمنتمية للحقل المعجمي لكلمة (العلم)، مثل:

المعرفة: لم تأت كلمة المعرفة بصيغة الاسم و المصدر في القرآن، و جاءت بصيغة الفعل في أهل الكتاب كثيراً، مثل قوله تعالى: [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] {البقرة:146} وقوله سبحانه: [وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ] {المائدة:83}.

الذكر: كما في قوله تعالى: [فاسألوا أهل الذّكر ان كنتم لا تعلمون]{الانبياء:7}

العقل: لم تأت كلمة العقل إلاّ بصيغة الفعل في القرآن، وقد ورد كثيراً بصيغة الفعل المضارع، كقوله تعالى: [أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ]{البقرة:44} وقوله تعالى: [وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] {المؤمنون:80}

الظنّ: وقد جاءت بصيغ مختلفة في القرآن كقوله تعالى: [وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ] {البقرة:78}. وقوله تعالى: [إن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ]{الأنعام:116}.

الدّراية: وقد جاءت بصيغة الفعل كما في قوله تعالى: [وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (63)]{الأحزاب:63} وقوله تعالى: [مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا] {الشّورى:52} وعبارة (وما أدراك) الكثيرة الورود في القرآن الكريم. وتبيين الحدود الدقيقة بينها، وتمييز العلم منها.

كما يرد عليه من جانب آخر، عدم الاشارة إلى تطبيقات مفهوم العلم في السّنة النبوية والصّدر الأول للإسلام، بالرّغم من وجود آثار وأحاديث كثيرة جدّاً في هذا المجال. منها:

قوله (صلى الله عليه وسلّم): "إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا". (صحيح البخاري، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا أَعلَمُكُم بِاللَّهِ، برقم 20).

وقوله: (صلى الله عليه وسلّم): "... وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً". (صحيح البخاري باب الصدّقة في الكسوف برقم: 1044. م مسلم باب صلاة الكسوف برقم: 901).

وقوله: (صلى الله عليه وسلّم): "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به". (صحيح البخاري، باب: فضل من علم وعلم، رقم: 79 / صحيح مسلم، باب: بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم، رقم: 2282).

ومن صحيح الآثار كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم أن: ((انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولتفشُوا العلم، ولتَجلسوا حتى يُعَلّم من لا يَعلمُ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً)). (صحيح البخاري، باب: كيف يقبض العلم).

ويرد عليه دلالياً من جهة ثالثة: عدم الإشارة إلى نقيض العلم بالمعنى القرآني الّذي ذهب إليه، بوضوح. لكن يفهم من تحليلاته وتقريراته أنّ نقيضه هو الجهل أيضاً، فان كان ذلك كذلك، فقد يبدو أنّ هناك نقصاً في عمله في الجانب الدّلالي منه على الأقل، فاذا كان العلم بمعناه العام نقيضه الجهل، فكيف يكون بمعناه الخاصّ نقيضه الجهل أيضاً؟ إلاّ اذا تمّ الإقرار بمعنى خاصّ للجهل أيضاً. مثلُ أن نقرّ بأنّ الجهل هنا بمعنى متّبع الهوى، لا بمعنى الغفلة أو عدم المعرفة، ويمكن العثور على اشارات في القرآن تؤيّد ذلك، كقوله تعالى: [أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ...]{الجاثية: 23} إذ فسّرها ابن عباس وقتادة بمن اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئا إلّا ركبه، لا يخاف الله. (الطّبري، 2001م، ج21، ص92). وهو اذ يتّبع هواه ليس ضالاً بمعنى كونه غافلاً لا علم له، بل على قول بعض المفسّرين الّذين يفسّرون عبارة (على علم) وصفاً للشّخص المتخذ إلهه هواه، أي أنه ضالّ مع ما له من صفة العلم، فحرْفُ (على) هنا معناه المصاحبة بمعنى (مع). (ابن عاشور، 1984، ج25، ص358).

ويمكن الاهتداء إلى نقيض العلم بالمعنى القرآني في قوله تعالى: [وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ]{محمد: 16}. فالّذين أوتوا العلم ذُكر في مقابل الّذين

يتّبعون أهواءهم، وهم الّذين يستمعون للحقّ، لكنّ هواهم مانع من تمكّن العلم من نفوسهم، ولذلك يقول المفسّرون: أنّ هؤلاء هم المنافقون، والذين أُوتُوا العلم: الصحابة رضي الله عنهم. (الطبري، 2001م، ج21، ص204).

مثال تغيير النقيض أو الضّد ما ذكره الباحث الياباني (توشيهيكو ايزوتسو)، عندما أورد أمثلة للتحوّل الدّلالي للكلمات في القرآن، في فصل بعنوان: (الجاهليّة والإسلام) حيث ذكر(ايزوتسو، 2007) أنّ لفظ (الجهل) في أحد معانيه -وهو عدم السيطرة على النفس والاهتياج السريع لأدنى إثارة- هو نقيض (الحِلم) في العصر الجاهلي، ولذلك يأتي لفظ الحلم بمعنى القدرة على كبح المشاعر والغلبة على الانفعالات والالتزام بالهدوء، وذلك اذا كان الموقف خاصّاً بالإنسان تجاه إنسان آخر، وبما أنّ المعادلة تغيرت بنزول القرآن، اذ يرى الإنسان نفسه أمام الله، حيث تحوّل الموقف من انسان تجاه انسان إلى انسان تجاه الله سبحانه، فقد تغيّر معنى الجهل، من إبداء ردّ الفعل العنيف والسّريع تجاه انسان، إلى ابداء ذلك تجاه ربّه بالنسبة للكافر. ولكن بالنسبة للمؤمن في تعامله مع الله، لا يجدر به استعمال الحلم بالمعنى السّابق، بل يجب أن يتجاوز الحلم باتجاه التسليم لله، ولذلك فقد تحوّل نقيض الجهل في القرآن دلالياً إلى الإسلام، فصار الإسلام والجاهليّة. وأصبح الجهل في مقابل الإسلام وليس في مقابل الحلم. لكنّ هذا النّوع من العمل غير مشار إليه في عمل سبحاني فيما يخصّ مفردة العلم.

ويرد عليه أخيراً من حجة رابعة تفسير (العلم) على ضوء الذّات المتّصف به، بمعنى: أنّ سبحاني فسّر كلمة العلم في ضوء كلمة (العالم)، إذ لا ترى في تحليلاته تفسيراً دقيقاً للفظ (العلم) مستقلاً عن (العالم)، كأنّه جعلها شيئاً واحداً، فكأنّه يفسّر العلم بآثاره، فاذا أسفر الإدراك أو التصوّر عن اتّخاذ موقف موافق لما نزل في الهداية الإلهية، فهو علم ومحلّه عالم، وإن لم يكن كذلك فلا. ولذلك يحسّ القاريء بنوع من الالتباس، بين ماهية العلم و ماهية العالِم، كما يحسّ أيضاً بأنّ سبحاني انطلق في تحليلاته من شيء مفروض لديه مسبقاً، وهو: أنّه لا يرى فصلاً بين العلم و العمل، ولا يرى معرفة نظريّة بحتة لا يشعل حركة أو تغييراً في قلب حاملها. وهذا الموضوع يُعالج ضمن ما يعرف بمسألة الرّبط بين المعرفة (أو العلم) والإرادة، والبحث عن جواب لأسئلة عديدة في هذاالمجال أهمها: هل يعمل الإنسان بما يعتقد دائماً، أم ربّما يعتقد شيئاً ولا يعمل به؟ وكيف يعتقد شيئاً ولايعمل وفقه؟ فاذا أقررنا بضعف الإرادة، يجوز لنا الاقرار بوجود العلم من دون تأثير وتغيير له في الإرادة، وبالتّالي في العمل، أمّا إذا لم نقرّ بضعف الإرادة فيمكن القول بعدم وجود علم دون تأثير أو عمل.

الخاتمة والنتائج

في ختام البحث تتمّ الاشارة إلى أهمّ الاستنتاجات في النقاط الآتية:

1- منهج سبحاني في استخراج معاني المصطلحات القرآنية، هو التفسير الموضوعي للمفردات، ويركّز على اللّغة وسياق القرآن نفسه، حيث ينطلق في منهجه من قناعة مسبقة لديه وهو أنّ معاني المفردات القرآنيّة تمّ تبيينها في القرآن نفسه، بناءً على قاعدة (القرآن يفسّر بعضه بعضاً).
2- العلم كما يفهم من القرآن يتلخّص في الموقف الصّحيح الّذي يتخذه المرء تجاه ربّه، فالعلم هو الإدراك أو اليقظة الباطنيّة الّذي يحدث للشخص تغييراً داخلياً في كيانه، ويولّد لديه الشّعور بالمسؤولية تجاه ربّه، ويؤثّر في سلوكه ومسار حياته.
3- من حيث المنهج ركز سبحاني على التفسير الموضوعي لمعاني المفردات القرآنية، لكنّه ميّز بين الاستخدامات المتنوّعة لمفردة (العلم) في القرآن: العلم بمعناه اللغوي العام، العلم بمعناه القرآني الخاص في سياق أمر الهداية والضّلال.
4- لم يتحدّث سبحاني عن نقيض العلم بالمعنى القرآني الّذي ذهب إليه بوضوح، لكن يفهم من تحليلاته وتقريراته أنّ نقيضه هو الجهل، ويبدو هذا نوعاً من النّقص في عمله في الجانب الدّلالي على الأقل، فاذا كان العلم بمعناه العام نقيضه الجهل، فكيف يكون بمعناه الخاصّ نقيضه الجهل أيضاً؟ إلاّ اذا تمّ الإقرار بمعنى خاصّ للجهل أيضاً.
5- يؤخذ على سبحاني بعض الأمور: اقتصاره على آيات معدودة دون أخرى في شروحه وتفسيراته، وعدم الإشارة إلى الكلمات القريبة من كلمة العلم من حيث المعنى، كالمعرفة والذّكر والدّراية وغيرها، وعدم الإشارة أيضاً إلى معنى العلم في السّنة النبوية والآثار الصحيحة عن الصدر الأوّل للاسلام.

المصادر والمراجع

أوّلاً: القرآن الكريم

ثانياً: السنّة النبويّة:

البخاري، صحيح البخاري
مسلم، صحيح مسلم

ثالثاً: الكتب:

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين الجوزيّة. (1416 هـ - 1996م)، مدارج السّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، ط3.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني. (1416هـ/1995م) مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984م.). التحرير والتنوير. تونس، تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عبدالبرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. (1421 هـ – 2000م)، الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء. (1979م). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السّلام محمد هارون. دار الفكر.

الاصفهاني، الرّاغب. (1430هـ 2009م) مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دمشق- بيروت، دارالقلم- دار الشّامية، ط4.

ايزوتسو، توشيهيكو، (2007)، الله والانسان في القرآن، ترجمة: د. هلال محمد الجهاد، بيروت، لبنان: المنظّمة العربية للترجمة، ط1.

دروزة، محمد عزّة. (1421هـ). التفسير الحديث. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط ٢.

رضا، محمد رشيد. (1366هـ/ 1947م) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، القاهرة، دار المنار، ط2.

الزّمخشري، محمود بن عمر. (1427هـ - 2006م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتوثيق: أبو عبدالله الدّاني، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1.

سبحاني، ناصر. (1442هـ/2020م)، مقدمة في العلوم والفنون، ت: د. محمود الزّمناكوبي، مؤسّسة برهم لنشر نتاجات سبحاني، ط1.

سبحاني، ناصر. (2011م) الدّعوة و مراحلها، اعداد: آرام محمد و سروت عبدالله، ط1.
سبحاني، ناصر. (2016م)، أسماء الله الحسنى، أعدّه بالفارسيّة: جهانكير ولديبكى، الترجمة إلى الكوردية: جوتيار قارمان، السليمانيّة، ط1.
سبحاني، ناصر. (2017)، علم عالم علماء تحليل قرآني، ترجمة و تلخيص (بالكورديّة): حسين سيد أدهم، التسليمانية، دار ريّنا للطبع و النشر، ط2.
الطّبري، أبوجعفر محمد بن جرير. (1422هـ/2001م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: د. عبدالله عبدالمحسن التّركي، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط1.
الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (1432هـ2011م)، إحياء علوم الدين، جدة، المملكة العربيّة السّعوديّة: دار المنهاج، ط1.
الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. (بلا) كتاب العين. تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد. (1427هـ- 2006م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بيروت، لبنان: مؤسّسة الرّسالة، ط1.
مسلم، د. مصطفى. (1421هـ/2000م)، مباحث في التّفسير الموضوعي، دمشق، دار القلم، ط3.

رابعاً: المجلات:

بورمحمدي، نعيمة.(2012- صيف وخريف) الإيمان عند كيركيغارد، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، السنة 16، العدد 51 ـ 52، ص161- 200.
سبحاني، ناصر. (1985- أيلول) الشهادة الشاهد الشهيد، مجلة نداء الغريب، باوه، كردستان إيران، العدد5.
مفهوم العلم في القرآن الكريم لدى ناصر سبحاني

خامساً: التسجيلات:

سبحاني، ناصر. (بلا) دروس الصلاة (نماز بالفارسيّة)، الشريط1، الوقت: 17:25-19:50.